



## أسيرات

نجوى ونوال وسهام ثلاث فلسطينيات، ثلاث أسيرات. لسن في المعتقل، لكنهن مقيدات الحركة ربما أكثر من نزيلات المعتقلات والسجون الاسرائيلية العديدة التي تغص بالفلسطينيين والفلسطينيات. في الحقيقة، هن اسيرات مرتين، بل ثلاثاً. مرة لأن المبنى الذي يعشن فيه، كل مع اولادها، يقع على تقاطع السلبطة الاسرائيلية والخرافة، في وسط مدينة الخليل حيث يحرس الاحتلال نزوات عشرات المستعمرين المهوسين بالحرم الابرهيمي. ومرة اخرى لأن حال الترمّل التي اصابتهم اضافت الى القيود "العادية" المفروضة عليهن كنساء في الشرق. وثالثة لأن قفص الاحتلال الذي يسركل المجتمع الفلسطيني بأسره يسد كل افاق التغيير، الا اذا كانت الى الاسوأ، كما يحصل لهن في النهاية مع اضطرارهن الى ترك البيت عندما تحتد المواجهات اثر اندلاع الانتفاضة. نجوى ونوال وسهام بطلات فيلم "اسوروت" الذي حاز هذه السنة جائزة مهرجان لايبزيغ للسينما التسجيلية.

كما يستدل من عنوانه الذي يعني في العبرية "أسيرات"، فإن الفيلم اسرائيلي اخرجته انات ايفن خريجة جامعة كاليفورنيا، بالاشتراك مع أدا اوشبيتز. وقد قدّمته المخرجتان اثناء مهرجان القدس، في بداية الصيف الماضي، بالآتي: "نحن كسينمائيتين اسرائيليتين ضاق صدرانا من الآثار المتركمة للظلم في الاراضي المحتلة، رغبتنا في تصوير اعتباطية الاحتلال كما تُرى من خلال الشبابيك المقفلة لمنزل محتل، وفي ابراز الخط الرفيع الفاصل بين الابتسامة وطلقة الرصاص. وقد سنحت لنا الحميمية والعاطفة اللتان نشأتا بيننا وبين كل من نجوى ونوال وسهام خلال سنة من التصوير، من ان نقدمهن بانسانيتهم الكاملة، كنساء حقيقيات، بعيداً عن الصورة النمطية للمرأة الفلسطينية التي يحملها مجتمعنا".

|| ليست انات ايفن وإدا اوشبيتز اول سينمائيتين في اسرائيل تتحازان الى فضح الاحتلال والآلة العسكرية الاسرائيلية، بل ان المخرجين الاسرائيليين الاكثر شهرة في الخارج هم من معسكر السلام وبعضهم مناهض حتى للصهيونية. يذكر منهم على سبيل المثال عاموس غيتاي الذي انجز عام ١٩٨٢ فيلماً نقدياً جداً عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان قبل ان يتحول الى السينما الروائية، وإيال سيفان الذي دحض في "اذكر" الايديولوجيا العسكرية المتحكمة باسرائيل. ولا يمكن اغفال تجربة الكاتبة راشيل مزراحي التي اخرجت مع الفرنسي جيل دينماتين فيلماً تسجيلياً عن القرى الفلسطينية التي هدمت عام ١٩٤٨.

ثم هناك سيمون بيتون التي باتت اكثر فلسطينية من الفلسطينيين. فبعدما دأبت على سبر الاصول العربية المغربية فيها، سواء في نقل التجربة المريرة لليهود الشرقيين او من خلال تقديم ام كلثوم الى المشاهدين الاوروبيين، اخرجت احد افضل الافلام التسجيلية عن تاريخ القضية الفلسطينية ثم خصصت بورترية لياسر عرفات وآخر لمحمود درويش، لحساب التلفزيون الفرنسي. وبعد النقطة مغربية القت الضوء على حياة المهدي بن بركة، كان آخر اعمالها هذه السنة "المواطن بشارة" الذي يعرض راهناً في لقاءات التضامن مع عزمي بشارة في اوروبا (وسيمون هي لولب الحركة في حملة دعم بشارة في فرنسا). ليس "أسيرات" اذاً ظاهرة منفردة. لكن اهميته تأتي من كونه موجهاً في المقام الاول الى المجتمع الاسرائيلي، اذ لا يبدو من الجينيريك ان اي تلفزيون اوروبي شارك في



الانتاج، على عكس العادة في الافلام التي تتناول القضية الفلسطينية. فما عدا دعم مؤسسة جورج سوروس (المضارب العالمي بالبورصة والعملات)، فان الانتاج اسرائيلي بالكامل، مع مساعدة من صندوق "ماكور" للافلام الاسرائيلية، وعمليات ال"بوست - برودكشن" جرت كلها في تل ابيب، هنا ايضاً بخلاف معظم الافلام عن فلسطين.

III تم تصوير معظم مشاهد "أسيرات"، على ما يستدل من مسلسل الاحداث التي يسجلها بين صيف ١٩٩٩ وصيف ٢٠٠٠، اي في الفترة التي سبقت انتفاضة الاقصى، ثم اضيفت اليها بعد حين، على ما يبدو، المشاهد الاخيرة المأخوذة بعد تسارع المواجهات وتحول الاسيرات لاجنات. في الحقيقة، عبارة "احداث كبيرة"، وكذلك كلمة "مواجهات"، هما للدلالة على ما يراه المشاهد. فالمرجنتان عرفتا عن النمط الصحافي في التصوير وتحاشيتا الحدث السياسي او العسكري لترويا في ٧١ دقيقة دورة الحياة بمرّها الكثير وطلوها القليل القليل. لكن النتيجة أبعد من ان تحمل اي تواطؤ مع الاحتلال، بل لعل الخفر الذي تحركت به الكاميرا يزيد عبثية الوجود العسكري والاستيطاني الاسرائيلي. لا تبارح الكاميرا الشارع الذي يقع فيه البيت الا مرتين، عندما ترافق نجوى الى القدس. بل انها تكاد لا تخرج من المبنى، مع تفضيل واضح للدرج الذي تتمحور عليه حياة الارامل الثلاث، والسطح الذي بدا استعارة لفلسطين المحتلة. فالسطح هو الذي يعطي اهميته "الاستراتيجية" للمبنى الواقع تحديداً على الخط الفاصل بين المنطقة المحتلة من وسط الخليل والمنطقة "أ" الخاضعة للسلطة الفلسطينية. قدر البيت والعائلات التي تسكنه ان الواجهة والباب الخارجي يطلان على المنطقة المحتلة، ولا منفذ الى الحكم الذاتي غير الخروج من شباك خلفي والقفز الى مبنى آخر فالهبوط من عل، وهو الامر الذي لا يقدر عليه الا اكبر الاولاد البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة.

ولأن المبنى يطل على الحي، فقد استعمر الجنود السطح، يصعدون الدرج وينزلونه كل حين بأسلحتهم الكاملة، مخلفين وراءهم الاوساخ واعقاب السجائر والمقذوف الفارغ من الرصاص. ولا تخشى الكاميرا تصوير آثار البول قرب خزانات مياه الشفة، فيما تحاول نوال تنظيف السطح للمرة الالف فتشكو من كسر الجنود الحنقية. نوال وسهام تتناوبان على تنظيف الدرج والسطح، بينما تتعاضى نجوى عن القيام بالمهمات المشتركة، او اننا لا نراها تفعل. نجوى اصغر الارامل الثلاث، فقدت زوجها عندما كانت في الرابعة والعشرين، واصغر اولادها لا يزيد عمره على الرابعة. رغم الحجاب الذي يلف شعرها والمعطف الذي يغطي جسدها، كلما خرجت من البيت، اسوة بجارتها، لم تتخل كلياً عن الحياة.

لا مغامرات ولا زواج ثان طبعاً، والرغبات مكبوتة حتى البكاء وكل ما تفعله نجوى لمقاومة اسر الترمّل والبيت هو الذهاب الى القدس للتبضع والتبضع. تحب القدس ومن لا يفعل؟ لكن نجوى لا تحبها لما فيها من معنى ديني، تحب المدينة الكبيرة فيها، فتلجأ اليها هرباً من القبر الذي تمثله الخليل بالنسبة اليها. ولا تخشى ان تترك الاولاد وحدهم في البيت خلال تجوالها، غير عابئة بكلام الناس، واول المفرطين في الكلام جارتها. فنوال وسهام اقل جرأة منها، واكثر قناعة بالمصير الذي ضربهما، من دون ان تخفيا نغمتهما من تقاليد تجعل الترمّل اشبه بالموت الاجتماعي.

الصورة الاجتماعية قاسية في "اسيرات"، لكن لا اكثر ولا اقل من حياة المرأة الشرقية، وليست هوية المخرجتين ما يمكن ان يحول دون الاقرار بان وضع المرأة لا يعدّ من الجوانب المشرقة للمجتمعات العربية عموماً والمجتمع الفلسطيني خصوصاً. وفي اي حال، لا تحاول المخرجتان لحظة الاعتداد بتفوق اسرائيلي في هذا المجال لتبخيس النضال الفلسطيني. على العكس تماماً، فان رسالة الفيلم لا تحمل اي التباس، والتضامن النسوي بين المخرجتين وبطلاتهما لا يخفف من فضحهما الاحتلال، بل يزيده حدّة. واذا كان من اسقاط سياسي في اسلوب التصوير والسرد، فهو في مصلحة التعايش، كما يظهر جلياً خلال مرافقة نجوى في جولتها على محال القدس الانيقة او في



النصار  
٢٠٠١/١٢/١٠

"معركة" كرات الثلج بين شبان الحي وعسكر الاحتلال، واعتراف احد هؤلاء الشبان الى امه المتفهمة بانه شعر نفسه وكأنه يلعب مع اولاد الجيران. رسالة تعاش، ولمَ لا؟

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>01-Pr-000734</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		أسيرات
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		مرور الكلام
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠١/١٢/١٠ 10/12/2001
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	نجوى - نوال - سهام - انات.ايفن - أدا.اوشبيتز - عاموس.غيتاي
	<b>Locations</b>	فلسطين - اسرائيل - كاليفورنيا - اوروبا - فرنسا
	<b>Dates</b>	١٩٨٢ - ١٩٤٨ - ١٩٩٩ - ٢٠٠٠
	<b>Themes</b>	فلسطين - اسيرات - نجوى - نوال - سهام - اسرائيل - انتفاضة - فيلم. "اسروت" - انات.ايفن - خریجة.جامعة.كاليفورنيا - احتلال.اسرائيلي - مخرجين.اسرائيليين - اجتياح.لبنان
<b>Subject</b>		